كلمة صاحب الجلالة لدى زيارته
لجامعة جورج تاون الأمريكية

ألقى صاحب جلالة الملك الحسن الثاني، محفوفا ،خلال زيارته لجامعة جورج تاون الأمريكية ،بصاحب السمو الملكي الامير مولاي رشيد وصاحبة السمو الملكي الاميرة للاحسناء، يوم 6 شوال 1415هـ موافق 17 مارس 1995م. كلمة عبر فيها عن تأثر جلالته بحرارة الاستقبال وبالامتياز الذي تشرف به من هذه الجامعة.

باسم الله الرحمان الرحيم والحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله.

ما أسهل الشكر عندما تصدر دالة الجميل من أصدقاء قدامى أوفياء مثل الولايات المتحدة الأمريكية التي تربطها ببلادي صداقة عريقة في التاريخ.

ولكم هو بليغ الأثر في نفسي هذا الاستقبال الذي تخصصونه لي وهذا الامتياز الذي تشرفونني به خاصة وأنا أعلم حق العلم الشهرة التي تتمتع بها جامعتكم في أمريكا والعالم كله.

ولقد كان الفلاسفة اليونانيون يقولون عن فن الملك - أو فن الحكم - إنه فن يشتمل على ما يكفي من المعرفة للفنون الأخرى. وهذا هو الفن الذي شاءت الإرادة الإلهية أن تسند الي ممارسته منذ اربع وثلاثين سنة . وبحكم التجربة أصبحت أعلم أن هذا الفن يتطلب معرفة متجددة باستمرار للقانون والدبلوماسية والاقتصاد وحتى الطب.

أو ليست هذه المواد الأساسية هي نفسها التي تدرسها جامعة جورج تاون التي تكون فيها وتخرج منها العديد من العلماء البارزين والأطر المسيرة العالية وأولئك الرجال والنساء الذين اشتهروا بمؤلفاتهم أو بأعمالهم.

وفي هذه الجامعة يستثمر كذلك فن تقدره حق قدره العلاقات بين الشعوب، إنه فن الذاكرة. ولايزال المغرب - يحتفظ باعتزاز ضمن كنوز ذاكرته - بالرسالة التي بعث بها جورج واشنطن الى جدنا محمد الثالث في فاتح دجنبر 1789 م - سنة إنشاء جامعتكم، جامعة الفنون والعلوم - وقال فيها خلال فصل الشتاء الذي يقترب ستجتمع مؤسستنا

الوطنية التي أخذت اسم ماكان يعرف سابقا بالكونغريس وسأتخذ جميع الاجراءات اللازمة للحفاظ على ما بين بلدينا من علاقات وتنميتها بما يرضي جلالتكم ويستجيب لرغبات الأطراف المعنية. وأسأل العلي القدير أن يديم على جلالتكم نعمة الاشعاع وسابغ الرعاية .

ذلكم لأن مما لايزال المغرب يفتخر به أنه كان الدولة العظمى الأولى التي اعترفت بالأمة الامريكية الناشئة التي يقول عنها واشنطن في نفس الرسالة. إن أرضنا لاتحتضن معادن ذهب ولامعادن فضة. وأمتنا الفتية التي تتخلص بجهد ومشقة مما أصابها من خسائر ودمار نتيجة حرب طويلة لم يتوفر لها بعض الوقت لتحقق ثراءها بتنمية فلاحتها وتجارتها غير أن أرضنا سخية بعطائها وشعبنا مثابر على العمل وهو ما يجعلنا نفخر بحق بأننا سوف نتمكن تدريجيا من أن نصبح مفيدين لاصدقائنا.

وخلال القرنين الماضيين لم يطرأ مايكدر صفو الصداقة التي ربطت بيننا.

وقد أصبحت الولايات المتحدة الأمريكية تلك الدولة العظمى الواسعة النفوذ عبر العالم والمحسودة من البعض ومرهوبة الجانب من البعض والملجأ والملاذ للبعض الآخر. أما المغرب فقد ثابر على ان يبقى نفسه وذاته متدرجا الى ماوصل اليه.

وإن الجغرافية قضت أن يوجد بلدنا في ملتقى بحرين وقارتين في النقطة التي يتصل فيها البحر الابيض المتوسط بالمحيط الأطلسي وحيث توجد أوروبا أقرب ماتكون الى افريقيا.

إن المغرب بلد إفريقي له جذور عميقة في القارة الافريقية. وشعبي يتوجه ببصره نحو الشرق في اتجاه الحرم المكي المقدس لأداء صلواته الخمس في كل يوم.

والى الشمال الى أوروبا تتجه مبادلاتنا التجارية وتنفتح على المعاصرة. وبما أن تاريخنا الهجري يعتمد الشهر القمري فإننا نرتد بأبصارنا في آخر كل شهر الى الغرب لمراقبة ظهور الهلال.

ولعل موهبة التنوع هذه هي التي جعلت شعبنا يطبق دائما - واليوم أكثر من اي وقت مضى - تعاليم الاسلام الحق، دينا معتدلا بعيدا عن الغلو الذي يشوه صورة الإسلام المتسامح الذي يتطابق ومبادئ الكتاب الحنيف . وفي هذا المجال كان اجدادنا يحيطون دائما برعايتهم يهود المغرب الذين كثيرا ماكان من بينهم من يدعى الى مهام

حكومية. ولا أظن أن هناك من ينكر الجهود السرية والعلنية التي كثيرا ما بذلناها شخصيا منذ عشرين سنة لتسهيل ذلك التصالح بين الاسرائيليين والفلسطينيين الذي تم هنا بواشنطن.

كما أن المسيحيين يتمتعون ببلدنا باعتبار كبير وقد حرصت على إعطاء الكنيسة الكاثوليكية الرومانية بالمغرب وضعية مؤسسة. وبصفتي قائدا إسلاميا وسليل الرسول محمد عليه السلام فقد سعدت كثيرا باستقبال قداسة البابا جان بول الثاني بالدار البيضاء الذي كنت قد زرته من قبل بروما والذي أكن له الاحترام والمودة. إننا جميعا أبناء ابراهيم.

إن ماينتظر رمزيا من أي شخص مرشح لنيل الدكتوراه هو أن يلقي درسا جامعيا افتتاحيا. وسيكون درسي وجيزا جدا لايتعدى كلمتين هما .. لاأبدا، لاأبدا لتقسيم العالم الى كتلتين كما وقع اثر الحرب العالمية الثانية.

لاأبدا للمواجهة بين عملاقين كل منهما يفرض احترامه على الاخر عن طريق التوازن المرعب ويتحاربان بواسطة قوات ثانوية وسيطة.

لاأبدا للحرب الباردة التي أدت الى حروب حامية في عدة نقط من المعمور.

واذا كان الاستعمار قد قضي عليه طبقا لروح ميثاق الأمم المتحدة والتصريح العالمي لحقوق الانسان ولكن تم ذلك بصفة غير مرضية .واذا كان التخلف والبؤس والمجاعة ظواهر ماتزال تنهك عدة أمم بعدما تحررت من الحجر الاستعماري فان هذه الدول الحديثة وجدت نفسها مرغمة على الخيار بين القوتين العظميين مما تحول بالنسبة للعديد منها الى الانتقال من حجر الى حجر من نوع اخر.

وفعلا، ففعالية هذه الدول الناشئة دارت في فلك الاتحاد السوفياتي مما أدى الى انتشار انظمة الحزب الوحيد دونما تمثيل نيابي ولاحرية للإعلام. ولم تزودها الكتلة الشرقية إلا بوصفات للدكتاتورية وللاقتصاد الموجه الذي أدى بها الى الخصاص. غير أن الكتلة المذكورة وزعت عليها - عوض ذلك وبكثرة - العتاد العسكري. وهو ما حمل الدول التي كانت تميل الى الكتلة الغربية على تبديد إمكاناتها في التسلح.

أما النزاعان اللذان زجت فيهما الدولتان العظميان مباشرة بجيوشهما - الولايات المتحدة في الفيتنام والاتحاد السوفياتي في افغانستان - فقد انتهيا نهاية مؤسفة.

وإذا كانت للماركسية التي أخطأت فكريا برفضها للقيم الدينية قد انهارت في اوروبا والاتحاد السوفياتي قد تلاشت تاركة روسيا مؤقتا في الفوضى السياسية والاقتصادية. وإذا كانت الصين مع احتفاظها بالبنيات الشيوعية قد تفتحت على اقتصاد السوق فلا يعفينا هذا كله من أن نبقى يقظين وأن لانتهاون ونحن نظن أن كل شيء قد انتهى.

فلا شيء له نهاية في التاريخ البشري وليست بضع سنين بحقبة كافية للتبصر في شؤون العالم وإنما نحن في حاجة لعدة عقود لأننا مسؤولون عن حياة أبنائنا مدة ثلاثين أو خمسين سنة. كما ان تدبير مستقبل الشعوب يتطلب مائة سنة. ولاشي يضمن لنا أن الإنسانية قد لاتراودها من جديد ولو في ظروف مغايرة هواجس التكتل العدائي الذي يؤدي الى نفس العواقب والى نفس الكوارث . فهذا هو الخطر الذي علينا أن نحتاط له باستمرار.

لأبدا هذه هي الرسالة البسيطة التي أريد أن أوجهها للنخبة المقبلة التي تتكون في سائر الجامعات الكبرى.

وإني لممنون لجامعة جورج تاون المجيدة التي أعطتني الفرصة لذلك في هذا اليوم الذي سيبقى خالدا بذاكرتي.